الجمعية المصرية للدراسات التاريخية

أحمد بدوى .. د عبد الرحمن زكى صورة .. وتحية

بدر الدين أبو غازى

مســتخرج من الموسم الثقافى

مجموعة المحاضرات العامة التى ألقيت بالجمعية

١٩٧٨ — ١٩٨٣

القاهرة ١٩٨٤

أحمد بدوى ... وعبد الرحمن زكى

صورة ... وتحيـــة

بدر الدين أبو غازى

فى أقل من عام فقـدت مصر ثلاثة من كبار علمائهـا ومؤرخيها ، الأستاذ الدكتور عبد الرحمن زكى ، والعالم الجليـل الأستاذ الدكتور أحمـد بدوى ، ومؤرخ مصر الحديثة الأستاذ الدكتور أحمـد عزت عبد الكريم .

ولكم كنت أود أن أف العلماء الثـلاثة بعض حقهم من الانصاف والعـدل فى هـذا الحديث ، لولا أن حديثـا واحـدا يقصر عن هـذا الوفاء ، ولولا أن الجمعية المصرية للدراسات التاريخية تعد العـدة لتكريم آخـر .

غير أنى أود فى بدايات الموسم الثقافى للجمعية أن يكون حديثى الذى دعيت اليـه تحية لاثنين منهما ربطتنى بهمـا مودة وثيقة كمـا الفت بينهما ظروف الحياة فتلاقيا فى كثير من مجالاتهـا ، عملا معـا وجمع بينهما صدق النيـة وحماس الرغبة كما تلاقيا فيما يلتقى فيه أهـل الفكر والثقافة من قلق على كثير من الأوضاع كان يدفع بهمـا أحيـانا الى شىء من اليـأس حين تصدمهم الهوة السحيقة بين الأمل والواقع بين التطلع والمعوقات . كانت الصلات بين العـالم الجليل الدكتور أحمـد بدوى وخبير الآثار الاسـلامية ومؤرخهـا الدكتور عبد الرحمن زكى وثيقـة وقديمـة .

غير أنى التقيت بهمـا معا عنـد اعداد الموسوعة العربية الميسرة

حين كان الدكتور عبد الرحمن زكى رئيسا لتحريرها وكان الدكتور أحمد بدوى عضوا فى مجلس مديريها وكنت من المشاركين فى اعدادها. ثم هما يتلاقيان أيضا فى الجمعية التاريخية وفى عضوية المجمع العلمى المصرى ، وفى لجنة التاريخ بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية . وفى لجنة التاريخ بمجمع اللغة العربية ، وفى ميادين أخرى من ميادين العمل الثقافى .

كلاهما سمح النفس ، فيه فيض من المرح والسخرية كأنما هو على مر السنين يزيد . وأن تخفى ذلك كله وراء ملامح جادة ، وطبع حديد .

تعاونت معهما منفردين ومجتمعين فلمست فيهما مثابرة جادة ، واخلاصا وشهامة : وكانت أكثر مجالات تعاوننا المشترك فى لجنة التاريخ بمجمع اللغة العربية اذا كان بدوى مقررها ، وكان عبد الرحمن زكى أحد خبرائها ، كما اشترك ثلاثتنا فى التخطيط لمتحف حربى ضخم كانت الدولة تزمع اقامته وكاد الدكتور عبد الرحمن زكى يتخاف عن هذه المهمة ولكنه استجاب كريما لدعوة الدكتور بدوى وان ظل يذكر فى مرارة ما تعرض له من نكران واساءة حين ترك المتحف الحربى الذى كان له فضل انشائه .

وتلك آفة من آفات حياتنا العامة لم تسلم منها الحياة الثقافية فلا يكاد مسئول يترك موقعه حتى تنسى أفضاله ويطوى أثره ان لم تلاحقه اساءات النفاق والزافى لصاحب السلطان الجديد .

وبعد فكم من مشابهات فى حياة الرجلين ، تقارب تاريخ مولدهما فولد الدكتور عبد الرحمن زكى عام ١٩٠٤ ، وولد الدكتور أحمد بدوى عام ١٩٠٥ ، ثم جمعتهما مسارات الحياة ، وتشابه ختام حياة حافلة عاشها كل منهما للعلم والفكر والثقافة .

وكان التمهيد لهـذا الختام متشابها فأصيب الدكتور عبد الرحمن زكى فى حادث سيارة اضطر بسببه الى تقصير خطوط نشاطه الحافل وان ظل يتوكأ على عصاه سعيا الى بعض المجالات التى لم يتخل عنها ، كذلك كان حادث الدكتور أحمد بدوى فصل الختـام فى حيـاته التى خلفت جلائل الأعمال •••• وهكذا تتابع رحيلهما كمـا تتابع مجيئهما الى الحيـاة •

أعود بعد هـذا لأصحب رحلة بدوى منـذ مولده عام ١٩٠٥ فى أبى جرج من قرى محافظة المنيـا حتى قضى نحبه فى السعودية عام ١٩٨٠

يقول بدوى فى كلمته القيمة التى ألقـاها فى حفـل استقباله بمجمع اللغـة العربيـة عام ١٩٦٠ :

« كانت خطواتى كلها فى الحياة من تدبير اللـه وترتيب القدر ، أراد أبى رحمه الله — حين حفظت القرآن — أن يوجهنى الى الأزهر ، وأراد الله المدرسة •

ثم أريد لى أن أدرس العلوم ، فلم أكد اسعى فى سبيلها عاما حتى تحولت عنها الى الآداب ، وما كدت أنتهى من المرحلة الثانوية حتى كان أبى رحمه اللـه يدفعنى الى المدرسة الحربية دفعا قويا ، ولكن اللـه أراد الجامعـة •

وأخذت أعد نفسى لدراسة الحقوق واذا اللـه رادى عنهـا بين عشية وضحاها دون أن أفكر ، ودون أن أقدر — الى لون آخر من الدراسة لم أكن قد سمعت من قبل • وفى منتصف مرحلة الطلب من أيام الجامعة أراد عميد الأدب طه حسين — ولم أكن مستطيعا أن أرد لـه طلبا — أراد أن يحولنى عن دراسة الايجبتولوجى الى دراسة الأدب العـربى ، فتشبث بى فرعون وتشبثت به ، وكان فرعون مع الأسف أقوى اغراء وأشـد بأسا » •

بهـذه الصورة الرائعة التى قدمها فى حفل استقباله أطلعنا بدوى على سر الطريق منذ بدايته ، تلك البـداية التى اكتملت ببعثتـه الى ألمـانيا وحصوله على اجازة الدكتوراه من جامعتى برلين ، وجوتنجن ، وعاد بدوى مدرسا بكلية الآداب فى أواخر عام ١٩٣٨

لم يعرف الدكتور أحمد بدوى من دنيا الوظائف غير الجامعـة دخلهـا مدرسـا وخرج منها مديرا لجامعة عين شمس ثم لجامعـة القاهرة ، وتولى أثناء ذلك ادارة مركز تسجيل الآثار فحقق فيه انجازا رائعـا .. وما أجدر الجامعـة بأن تطلق اسمه على أحـد قاعاتهـا اعترافا بفضله وأثره .

وتولى أثناء شبابه الاشراف العلمى على منطقتى سقـارة وميت رهينة واستطاع أن يقوم بالتنقيب فى العاصمة القديمة « منف » ووفق الى كشوف على جانب كبير من الأهمية التاريخية والأثرية ، كما أتيح له الاتصال بمجموعة من شباب فنانى مصر كانت سقارة قبلتهم لاجتـلاء أسرار الفن المصرى القـديم ، وكم أضاء لهم بدوى الطريق الى فهم هـذا الفن على هدى من أسرار الديانة والتاريخ ورموز اللغـة المصرية التى تخصص فى فقهها .

كانت حيـاة بدوى العلمية حياة خصيبة فنشر باللغة الألمـانية كتابه عن المعبود « خدوم » وأبت فى دراسته مكانه بين المقدسـات المصرية .

كمـا نشر دراسته عن منف العاصمة الثانية ابان عصر الدولة الحـديثة ، وقد ألقى بهـذه الدراسة أضواء جديدة على تاريخ المدينة القديمة ومركزها الثقافى والحربى ، وعلى المدرسـة الدينية التى أثرت فى العقيدة المصرية ... وقد أتاح له تعمقه فى دراسـة العقيدة المصرية على عسرهـا ، وامتلاكه أسرار التاريخ المصرى القـديم أن يقدم عن منف وتاريخهـا مؤلفـا بل مرجعا فذا وفريدا فى عمقه وسعته .

وهـذا المؤلف الكبير حقيق بأن يترجم الى اللغة العربيـة .

وقد عنى الدكتور بدوى بدراسة العلاقة بين اللغة المصرية القديمة واللغات السامية وصـلا لجهود بدأها العالم الأثرى الأول المغفور له أحمـد كمـال باشا .... وقد أخرج الدكتور بدوى معجمه الصغير فى مفردات اللغة القديمـة .

وقد شارك بدوى سنة ١٩٤٧ مع أستاذنا الجليل الدكتور ابراهيم نصحى ومع الأساتذة الكبار شفيق غربال ، وعباس عمار ، وعبد الرحمن زكى فى تأليف كتاب عن وحـدة وادى النيـل وأسسها الجغرافيـة ومظاهرهـا فى التـاريخ .

كمـا حفلت المجلة التريخية ، ومجلة كلية الآداب ، ومجلة مجمع اللغـة العربية ، ومجلة الاتحـاد العلمى المصرى ، ببحوثه المستفيضة عن الهكسوس ، وعن حور محب وعن اخناتون ، وعن اللغـة المصرية القديمـة وصلاتهـا باللغـات السامية ، وعن النيل عند الفراعنة .

على أن لكل مفكر وأديب كتابا يظل مقترنا باسمه ويبقى علمـا عليه ، وكتاب بدوى هى مؤلفه الكبير « فى موكب الشمس » ... رحـلة القـرون الثـلاثين من الحضـارة المصرية القديمـة بدأهـا منـذ استقرار المصرى الأول على ضفاف النيل ، واختتمها بدخـول الاسكندر المقـدونى .

هـذا الكتاب الذى بهرنا فى شبابنا قدم حضارة مصر من منظور قومى علمى وبلغـة أدبيـة رائعـة تقدم لنـا الجواب على أسباب دعوة أستاذه طه حسين له الى دراسة الأدب بديلا عن الاستمرار فى دراسة المصريات . ولو فعل بدوى ذلك لكسبته مصر أديبا وخسرته عالمـا .

غير أن حب الأدب ظل يلازم بدوى فى حياته ، كمـا كان له مع الشعر هـوى عميق فهو راوية للشعر القـديم ، مترنم بشعر شوقى الذى كان يؤثره باعجابه وحبـه .

لقـد قدم بدوى بمجلده الضخم « فى موكب الشمس » بجزئيه أثرا عظيمـا الى المكتبة العربيـة ، وكان من رواد دراسـة تاريخ الحضارة المصرية لم يتوقف عند جانبها السياسى وانتصاراتها ومعاركها وانمـا درس علومها وآدابها ، وتعمق فى تحليل فنون عصورها برؤية فنـان نافذ البصيرة ، مرهف الحس .

لقـد أشـار أستاذه شفيق غربال حـين استقبلـه فى المجمـع أنه « خير من عبر بالعربية عن الشخصية المصرية » ..

وكان شفيق غربال نفسه من السباقين الى البحث فى جوانب من هـذه الشخصية فى كتاب « تكوين مصر » .

وعلى كثرة ما كتب من مؤلفـات عن شخصية مصر بعد بدوى فان كتابه هـذا يظل عملا شامخا جديرا بأن تعاد طباعته .

لقـد كان بدوى عاشقا كبيرا لمصر ، ولكن أقليمـه المنيـا ظل الأثير بحبـه ، كمـا أن الدولة الوسطى فى مصر القديمة كانت موضع اهتمـامه الخاص فى موكبه مع الشمس .

وله فى هـذا قول مـأثور :

« أهل الجنوب قبلتى ، واستدبر الشمال ، ثم اتخـذ من الغـرب يمينـا ، ومن الشرق يسارا ، فهكذا فعل المصريون عندما جعلوا نبع النيـل ، وهو خالق الوجود المصرى قبلتهم » .

لقد أعطى بدوى الكثير فردت له مصر بعض العطاء حين منحته جائزة الدولة التقـديرية فى العلوم الاجتماعية .

ولكنه ظل على مكانته العلميـة جم التواضع ، سمح النفس ، تراه فى مجالسه فى النـادى الأهلى مرحا ضاحكا حتى تحسبه لا ينطوى على كل هـذا العـلم الغزير ، فيـه روح العصيـان الموروث عن أبيه كمـا قال فى سيرته • ولكن فيه نفحة من روح أعز أهـله الى نفسـه وأحبهم الى قلبه الشيخ الجليل مصطفى عبد الرازق فهو مثـله بـر ودود ، سخى مبسوط الكف حسن الذوق ، يترفع فى غير استعلاء وفيه تلك الحيرة الفلسفية التى تهـز النفس حنينا الى المـاضى وتدفعها نزاعة الى الجـديد •

تلك كانت سمـات الشيخ الجليل مصطفى عبـد الرازق الذى أخفى تواضعه الكثير من فضـله وما زال دوره الكبير فى حيـاة مصر غير مدرك بكل أبعـاده •

وكذلك كانت سمـات فقيدنا العزيز أحمـد بدوى الذى خلف رحيـله فى نفوس محبيـه حسرة لاذعة وترك فراغـا هيهـات أن يعوض •

أما الفقيـد العزيز الدكتور عبد الرحمن زكى فحيـاته فى بدايتها تختلف عن حيـاة صديقه وزميله الدكتور بدوى فهد قـد انخـرط فى سلك المدرسـة الحربيـة لم ينأى عنها كمـا نأى بدوى فى صـباه ، ولكن حبـه للثقـافة والعلم ظل ملازما له ، وأخـذ يسعى للعـلم فى فطـانه ، وطالعنا اسمه فى المجلات والصحف منـذ بواكير حيـاته مقترنا بمقالات عن تاريخ الجيش والمعـارك والآثار •

ولقـد قضى عبد الرحمن زكى فى خـدمة الجيش حقبة امتدت من عام ١٩٢٦ حتى عام ١٩٥٨ •

ولكنه تولى فى الجيش مناصب تتطلب قدرات خاصة فهو مـدير الشئون العـامة بوزارة الدفاع ، ثم هو رئيس تحرير مجلة الجيش •

وعندما بدأت مصر الاعداد للمتحف الحربى أوفد فى بعثة الى أوربا لدراسة نظم المتاحف ثم عاد ليتولى انشاء المتحف الحربى الذى بذل فى انشائه وتنظيمه جهدا كبيرا حتى استوى متحفا لائقا بتاريخ مصر الحربى .

وفى هذه الاثناء استكمل عبد الرحمن زكى تكوينه العلمى فى جامعة القاهرة فدرس الآثار الاسلامية ، وحصل على دكتوراه الآداب عام ١٩٥٦ .

وما أن ترك خدمة الجيش حتى عين أستاذا للآثار الاسلامية فى جامعة بغداد ، فى العام الدراسى ١٩٥٨ — ١٩٥٩ .

وقد عرف الدكتور عبد الرحمن زكى مؤلفا منذ أصدر فى عام ١٩٣٥ كتابه الأول عن القاهرة من جزئين طبعه على نفقته وطلع علينا فى هذا الكتاب باسمه مقترنا برتبته فى الجيش « الملازم أول عبد الرحمن زكى ... من ضباط الأشغال العسكرية » .

ورغم أن أصحاب السيف والقلم فى تاريخنا الثقافى عديدون فان الملازم عبد الرحمن زكى حرص فى تمهيد الكتاب أن يؤكد الصلة بين العسكرية والآداب والفنون فقال :

« يخيل الى بعضهم أنه ليست هناك علاقة بين الجندية والآداب والفنون ... وفى الواقع أن الفنون الجميلة متصلة اتصالا وثيقا بالحرب ... وما هذه الا دعامة قوية لها فانا لم نر فنا من الفنون على وجه البسيطة تقوم له قائمة الا بين أمة مسلحة ، ولم نر فنا يقوم بين شعب من الرعاة أو شعب زراعى . تلك الشعوب التى تمت بطبيعتها الى السلام فان الكامل لا يقوم الا مع القوة .. ان الجندية أساس الفنون والفضائل العالية وفى مقدمة عوامل الرجولة

الكاملة • ونحن اذا قارنا حالة الفنون بعد الحـرب الكبرى بحالتها قبلهـا تبين لنـا بسهولة تلك الرابطة الوثيقـة بين الحرب والفن » •

ومن هـذا التمهيد يتضح أن الضابط عبد الرحمن زكى عقـد فى نفسه صلحا بين مهنته العسكرية ، وميوله الأدبية والفنيـة ، واستطاع بهـذا أن يتابع اصـدار مؤلفـاته العديدة ومنهـا :

— الاعـلام وشارات الملك فى وادى النيل •

— الشرق الأوسـط •

— قلعـة الجبل وقلاع اسلامية أخرى •

— السيف فى العـالم الاسلامى •

— التـاريخ الحربى لعصر محمـد على •

— سيناء •

— المسلمون فى العـالم من عدة أجزاء •

— تاريخ وحضارة الدول السودانية بغرب أفريقيـا •

— الأزهر وما حوله من الآثار •

هـذه هى بعض مؤلفـات عبد الرحمن زكى فضلا عن دراساته القيمـة التى شارك بهـا فى مؤتمرات الآثار العربية ، وفى مهرجان الفن الاسـلامى فى لندن •

على أن عبد الرحمن زكى كان له مع القـاهرة الاسلامية عشق خاص •• وظل من دعاة الحفاظ على آثارها وصيانتها والعناية بالاحياء التاريخية •• كمـا كان الهوان الذى يصيب بعض الآثار يفجر عنـده سخطا يعلنـه أحيانا بكلمات يصوبهـا كطلقات الرصاص بينما يدفعه اليـأس حينا الى هدنة صامتة •

ولم تقتصر جهود عبد الرحمن زكى على مؤلفـاته بل امتـد علمه الى الجامعة استاذا ومحاضرا فى الآثار ومشاركا فعالا فى كلية الاثار بجامعة القـاهرة منـذ انشائهـا .

غير أن عبد الرحمن زكى كان من العلماء الذين يقرنون الفكر بالفعل فامتد نشاطه الى المجامع والجماعات فهو عضو فى الجمعية التاريخية والجمعيــة الجغرافية وجمعية الآثار القبطية وجمعيــة محبى الاثار وجمعية الخـدمة الاجتماعية وهو عضو جمعية المتـاحف البريطانية ، واللجنـة القومية للمتاحف بأكاديمية البحث العلمى .

كمـا أنه شاركنا العمل بجمعيـة محبى الفنون الجميلة نائبـا للرئيس ، وكان من أعمدتهـا خلال حقبـة طويلة من الزمان .

وان الجهود التى بذلهـا فى اعداد الموسوعة العربية الميسرة التى كان رئيسا لتحريرهـا ، وما أضفاه على هـذا العمل من دقة وانضباط ممـا يذكره له كل من سـاهم فى تحرير هـذه الموسوعة أو اتصـل بأسبابهـا .

كذلك كان اهتمـام عبد الرحمن زكى بشـئون المتـاحف منـذ تولى انشـاء المتحف الحربى اذ ظل يتـابع الدراسات التخصصية فى تطوير المتـاحف ويعـد بحوثا قيمـة عن مستقبلها فى مصر ووسـائل النهوض بهـا .

لقـد كان عبد الرحمن زكى من هـذا الطراز النادر من الرجال الذين عرفتهم مصر وعرفت من فضـائلهم تنوع الخـبرة ، وتعـدد ميـادين النشاط ، والقـدرة على الانتشار فى هـذه الأرض يغرسون فيهـا أفكارا ، ويقيمون فيها دعائم النهضة يحدوهم حب مصر الى بذل كل جهـد من أجل تقدمهـا .

ولعل هـذا يضيف حزنا على حزن حين نشهد رحيل هذا النوع من الرجال •

وبعـد فليست هـذه الا تحية لرجلين عظيمين من رجالات مصر تحمل فى ثناياها ملامح من حيـاة خصيبة وكفاح عظيم • ولست أريد أن استأثر وحـدى بذكرهما فلأدع الحـديث لغيرى ، ولاتجـه الى شخصيهما بتحيـة خاشعة •

رحمهما اللـه وغفـر لنـا ...